العلاء بن زياد الحارثي
في كتاب نهج البلاغة

Al-Alaa Bin Ziad Al-Harthy
in Nahjul-Balagha

م. حيدر جمعة الكعبي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

دائرة البحث والتطوير

by Haider Juma Al Kaabi

Ministry of Higher Education and Research

Development Department

ملخص البحث

إن ذكر العلاء بن زياد الحارثي في صدر كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ليس من سهو الشريف الرضي (رحمه الله)؛ لوجود هذا النص في عصر متقدم على عصره بقرن ونصف تقريباً، وكذلك ليس من سهو النساخ؛ لعدم وجود أي نسخة من كتاب نهج البلاغة مغايرة لما موجود، فضلًا عن اتفاق شراح النهج على هذا النص، لذا نرى أن السهو قد وقع من الإسكافي في كتابه المعيار والموازنة أو من نساخ هذا الكتاب، وإن الشريف الرضي (رحمه الله) قد اعتمد على هذا الكتاب في نقله لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) محل البحث.

إن الموضوع يتطلب الوقوف على عدة نسخ خطية من كتاب المعيار والموازنة أو العثور على مصدر آخر نقل هذا الكلام عنه لتتبين حقيقة الأمر، لذا ما ذكره ابن أبي الحديد هو الأصوب مؤيَّداً برواية الكافي والعقد الفريد، وأمَّا نص كتاب الاختصاص فلا يمكن الاعتماد عليه من ناحية معرفة المعنون بالخطبة؛ لأنَّ المذكورين، وهما زياد بن شداد وعبيد الله بن شداد لا وجود لهما، ولم يذكرهما أحد، وإنما تفرد بذكرهما كتاب الاختصاص، لذا نرى أن النص قد وقع فيه التحريف والتصحيف خصوصا إذا ما علمنا أن الكتاب قد اختصره الشيخ المفيد من كتاب أبي علي أحمد بن الحسين بن أحمد بن عمران، وأن نسخه الموجودة فيها نقص وأخطاء.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، العلاء بن زياد الحارثي.

Abstract

The mention of Al-Alaa bin Ziad Al-Harthy in the begining the prince of true believers (Pb) speech was not omission of al-Sharif al-radi (the mercy of Allah be upon him), since this text was existing nearly about a century and a half after his time, and was not omission of scribes, since there is no any copy of Nahjul-Balagha different from what is present, so we Consider the omission is by alaskafi in his book "Criterion and Balance" or by scribes of this book. So that al-sharif al radi relied on this book to quote Imam Alis (Pb) speech.

Keywords:

Nahjul-Balagh, Al-Alaa Bin Zaid Al-Harthy

المقدمة:

تضمن كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي (رحمه الله) المتوفى سنة (٤٠٦هـ) خطبًا وحِكمًا ورسائل وكلمات لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ومن الأمور التي يمكن للباحث أن يسلط نظره عليها هي الأعلام المذكورة في النهج الشريف، ومن ثَمَّ ترجمة هؤلاء الأعلام والبحث في شؤونهم وخصوصياتهم، ومن هؤلاء الأعلام العلاء بن زياد الحارثي الذي جاء ذكره ضمن كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الوارد بالرقم (٢٠٩)[1]، ونص ذلك كما في النهج الشريف كالآتي:

ومن كلامٍ له (عليه السلام) بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعة داره، قال: «ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج، وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذاً أنت قد بلغت بها الآخرة. فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال: وماله؟ قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال: عليَّ به. فلما جاء قال: يا عديَ نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك، أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟ قال: ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة

العدل أن يقدروا أنفسهم بضَعَفَة الناسِ كي لا يتبيغ بالفقير فقره».

أقول: لاحظت عند مراجعتي للخطبة المذكورة في المصادر الحديثية والتاريخية أن هناك اختلافًا في اسم الشخص الذي عاده أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعلى هذا الأساس سيكون بحثنا منصباً حول إثبات الاسم الحقيقي لهذا الشخص.

المبحث الأول: المصادر التي ذكرت الخطبة

ذكرت هذه الخطبة الشريفة في كثير من كتب التاريخ والحديث والأخلاق والمناقب والتفسير بعد زمان الشريف الرضي (رحمه الله) إلى يومنا هذا، فعلى سبيل المثال ذكرها الطبرسي من أعلام القرن السادس في تفسيره (مجمع البيان في تفسير القرآن) حيث قال: إنه قد اشتهر في الرواية إنه (عليه السلام) لما دخل على العلاء بن زياد بالبصرة يعوده، قال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.... إلى آخر الكلام الذي سبق[٢] حيث ذكر الخطبة بتمامها، كما ذكرها العلّامة المجلسي في كتاب بحار الأنوار نقلاً عن كتاب نهج البلاغة[٣]، ومن المحدثين ذكرها المحدّث النوري في مستدرك الوسائل[٤]، ومن كتب الأخلاق ذكرت في كتاب رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين للسيد علي خان الشيرازي[٥]، وعشرات الكتب الأخرى، وهناك من العامة من ذكر مقطعًا من هذه الخطبة بعنوان (عيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) العلاء بن زياد الحارثي) أو ما يقرب من هذا العنوان وهو

الزمخشري صاحب تفسير الكشاف المتوفى سنة ٥٣٨ هجرية في كتابه ربيع الأبرار[٦] ولكن من دون أن يشير إلى المصدر، وكذلك ابن حمدون المتوفى سنة (٥٦٢هـ) في كتابه التذكرة الحمدونية[٧] وذكر كلام أمير المؤمنين بأكمله في كتاب ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي المتوفى سنة (١٢٩٤هـ)[٨].

والظاهر أن الكتب قد ذكر فيها هذا الكلام ولم يصرح مؤلفوها بمصدرهم في ذلك إنما هم نقلوها عن كتاب نهج البلاغة وإن لم يشيروا إلى ذلك، وذلك لتطابق صدر الخطبة في هذه الكتب مع ما موجود بالنهج، وهو عيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) العلاء بن زياد الحارثي، والسبب الآخر هو شهرة كتاب نهج البلاغة في عصرهم وتقدم زمانه).

المبحث الثاني: شخصية العلاء بن زياد الحارثي

عند مراجعتنا لكتب الحديث والرجال الشيعية لم نجد ذكرًا لشخص بعنوان (العلاء بن زياد الحارثي)، ومن ذكره من العلماء مؤخراً في كتب الرجال والتراجم فقد اعتمد في ذلك على ذكره في كتاب نهج البلاغة أو المصادر التي نقلت عنه، إذ جاء ذلك في كتاب مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي النمازي الشاهرودي حيث أورد ترجمته قائلاً:

لم يذكروه، هو من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام). وعاده أمير المؤمنين (عليه السلام) في مرضه بالبصرة وشكا أخاه عاصمًا عنده، كمبا ج ٩ صفحة ٥٠٢، وجد ج ٤٠/ ٣٣٦ ومصدره في ذلك كتاب

بحار الأنوار للعلّامة المجلسي الذي بدوره نقلها عن كتاب نهج البلاغة وعبارة (كمبا) إشارة إلى طبعة الكمباني، وعبارة (جد) إشارة إلى الطبعة الجديدة من البحار[٩].

المبحث الثالث: العلاء بن زياد العدوي البصري

نجد أن العلاء بن زياد الحارثي لم يذكر في مصادر العامة التاريخية والرجالية، وإنما الذي ذكر هو (العلاء بن زياد العدوي البصري) المتوفى سنة (٩٤ هجرية)، وهو من بني عدي وعدَّوه من ثقات التابعين ومن العبَّاد ومن الزهاد وأثنوا عليه كثيراً[١٠] حيث قال عنه الرازي في الجرح والتعديل: العلاء بن زياد العدوي البصري وهو ابن زياد بن مطر كان قدم الشام روى عن أبيه روى عنه جرير بن حازم سمعت أبي يقول ذلك[١١].

وقال المزي في تهذيب الكمال: العلاء بن زياد بن مطر بن شريح العدوي أبو نصر البصري قدم الشام أرسل عن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) مد (... قال محمد بن الحسين البرجلاني عن أبي إسحاق الضرير عن الأسود بن شيبان عن قتادة: كان زياد بن مطر العدوي قد بكى حتى عمي وبكى ابنه العلاء بن زياد بعده حتى عشي بصره، قال: وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ جهشه البكاء، وقال أيضا عن حكيم بن جعفر عن مضر القارئ عن عبد الواحد بن زيد: أتى رجل العلاء بن زياد، فقال: أتاني آت في منامي، فقال: ائت العلاء بن زياد فقل له: كم تبكي، قد غفر لك، قال: فبكى ثم قال: الآن حين لا أهدأ[١٢].

وقد أخرجت بعض الصحاح

حديثه كصحيح سنن ابن ماجة حيث ورد ذكره في سند الحديث بالرقم ٣٨٥١ عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «**ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم إنِّي أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة**»[١٣].

المبحث الرابع: هل العلاء بن زياد العدوي البصري نفسه العلاء بن زياد الحارثي؟

لا يمكن احتمال كون (العلاء بن زياد العدوي البصري) هو المقصود المذكور في خطبة نهج البلاغة أي العلاء بن زياد الحارثي كما احتمله السيد عبد اللطيف الكوهكمري في تحقيقه لكتاب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للقطب الراوندي؛ إذ قال في هامش صفحة ٣٢٢ من الجزء الثاني[١٤]: (لعلَّه الذي ذكره الحافظ الرازي في الجرح والتعديل، وقال العلاء بن زياد العدوي البصري وهو ابن زياد بن مطر، كان قدم شام، وروى عن أبيه وروى عنه جوير بن حازم).

ولعل السبب الذي دعاه إلى ذلك أن العلاء بن زياد العدوي البصري كان من العبّاد والزهاد ومن أهل البصرة، فيقرب أن يكون كلام أمير المؤمنين موجهاً له، ولكن لا يمكن قبول ذلك لكون العلاء بن زياد العدوي البصري هذا كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ إذ روى الثقفي في كتاب الغارات عن ابن سيرين قال: دخل عمار بن ياسر على ابن مسعود أو أبي مسعود وعنده ابن الشخير فذكر عليًّا (عليه السلام) بما لا يجوز أن يذكر به، فقال له عمار: يا فاسق إنك لههنا، فقال أبو مسعود: أنشدك الله

وأذكرك الله يا أبا اليقظان في ضيفي، قال: كان أبو مسعود الجريري يقول: كان ثلاثة من أهل البصرة يتواصلون على بغض علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهم: مطرف بن عبد الله بن الشخير، والعلاء بن زياد، وعبد الله بن شقيق[١٥].

كما نقل ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج نقلاً عن كتاب الغارات المذكور آنفًا[١٦]، والمحقق التستري في قاموس الرجال[١٧]، ويفترض أن العلاء بن زياد الحارثي محل البحث والوارد اسمه في صدر كلام أمير المؤمنين أعلاه أن يكون من أصحابه المقربين منه، حيث يزوره الإمام في بيته ويعوده، وهذا يتنافى مع كونه من مبغضي أمير المؤمنين (عليه السلام).

يُزادُ على ذلك أن وفاة (العلاء بن زياد العدوي البصري) هي عام (٩٤ هجرية) ممَّا يجعله في زمان أمير المؤمنين عند دخوله البصرة وهي سنة ٣٦ هجرية (حيث إن الكلام جرى في البصرة كما هو ظاهر من صدره) فكان شابًّا صغيراً إن لم نقل إنه لم يكن مولوداً أصلاً؛ إذ إن تاريخ ولادته غير معلوم فضلا عن عدم وجود أخ للعلاء بن زياد العدوي البصري اسمه عاصم بن زياد وهو الذي وبخه أمير المؤمنين (عليه السلام) على تركه الدنيا وزهده فيها، وإنما يوجد له أخ اسمه هشام بن زياد العدوي ذكره ابن حبان في الثقات[١٨].

المبحث الخامس: عاصم بن زياد الحارثي أم العلاء بن زياد الحارثي

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عقب هذه الخطبة في شرحه لنهج البلاغة

بقوله: اعلم أن الذي رويته عن الشيوخ ورأيته بخط عبد الله بن أحمد بن الخشاب رحمه الله أن الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابة في جبينه، فكانت تنتقض عليه في كل عام، فأتاه علي (عليه السلام) عائداً فقال: كيف تجدك أبا عبد الرحمن؟ قال أجدني يا أمير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي إلّا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه.

قال وما قيمة بصرك عندك؟، قال لو كانت لي الدنيا لفديته بها، قال لا جرم ليعطينك الله على قدر ذلك إن الله تعالى يعطي على قدر الألم والمصيبة وعنده تضعيف كثير، قال الربيع: يا أمير المؤمنين ألا أشكو إليك عاصم بن زياد أخي قال: ما له؟ قال: لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وحزن ولده.

فقال علي (عليه السلام): ادعو إلي عاصماً، فلمَّا أتاه عبس في وجهه، وقال: ويحك يا عاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره ما أخذت منها، لأنت أهون على الله من ذلك أوَما سمعته يقول: ﴿مَرَجَ البَحرَينِ يَلتَقِيَانِ﴾ ثم يقول: ﴿يَخرُجُ مِنهُمَا اللُّؤلُؤُ وَالمَرجَانُ﴾، وقال: ﴿وَمِن كُلّ تَأكُلُونَ لَحماً طَرِيّا وَتَستَخرِجُونَ حِليَة تَلبَسُونَهَا﴾. أما والله إنَّ ابتذال نِعَم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال وقد سمعتم الله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث﴾، وقوله: ﴿قُل مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللهِّ الَّتِيَ أَخرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَتِ مِنَ الرِّزقِ﴾. إن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَتِ وَاعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾،

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبعض نسائه: «مالي أراك شعثاء مرهاء سلتاء». قال عاصم: فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشب؟ قال: إن الله تعالى افترض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم بالقوام كيلا يتبيغ بالفقير فقره، فما قام علي (عليه السلام) حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءة.

والربيع بن زياد هو الذي افتتح بعض خراسان وفيه قال عمر: دلّوني على رجل إذا كان في القوم أميرًا، فكأنه ليس بأمير، وإذا كان في القوم ليس بأمير فكأنه الأمير بعينه، وكان خيِّرًا متواضعًا، وهو صاحب الوقعة مع عمر لما أحضر العمال فتوحش له الربيع وتقشف وأكل معه الجشب من الطعام فأقره على عمله وصرف الباقين، وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدَّم، وكتب زياد بن أبيه إلى الربيع بن زياد وهو على قطعة من خراسان: إن معاوية كتب إلي يأمرك أن تحرز الصفراء والبيضاء وتقسم الخرثى وما أشبهه على أهل الحرب، فقال له الربيع فقال: إني وجدت كتاب الله قبل كتاب معاوية ثم نادى في الناس أن اغدوا على غنائمكم فأخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين ثم دعا الله أن يميته فما جمع حتى مات، وهو الربيع بن زياد بن أنس بن ديان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن مالك بن كعب بن الحارث بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد.

وأمَّا العلاء بن زياد الذي ذكره الرضي (رحمه الله) فلا أعرفه (أي لا

يعرف شخصاً بهذا الاسم كان من أصحاب أمير المؤمنين وأنه عاده وجرى معه من الكلام ما جرى، إلا أنه لا يعرف شخصًا بهذا الاسم حيث تقدم أن هناك من اسمه العلاء بن زياد ولكنه العدوي البصري وليس الحارثي)، ولعل غيري يعرفه[١٩].

كما أورد هذا نص كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) (بذكر الربيع بن زياد وليس العلاء بن زياد) ابن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة (٣٢٨ هجرية) في كتابه العقد الفريد عن العتبي في موضعين في الجزء الثاني والجزء السابع وباختلاف يسير في بعض الكلمات عن النص الذي أورده ابن أبي الحديد المعتزلي[٢٠]، وكذلك أبو الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧ هجرية) في كتابه تلبيس إبليس[٢١]، كما ذكر أبو حيان التوحيدي في كتابه البصائر والذخائر[٢٢] كلام أمير المؤمنين مع عاصم بن زياد من دون أن يذكر العلاء أو الربيع بن زياد الحارثي، وهذا الكتاب فات السيد عبد الزهراء الخطيب في أن يذكره في كتابه مصادر نهج البلاغة وأسانيده.

المناقشة والنتيجة:

من الراجح أن ما موجود بالنهج من ذكر العلاء بن زياد الحارثي هو ليس من سهو النساخ كما احتمله السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابه مصادر نهج البلاغة وأسانيده حيث قال عقب ذكره لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) المذكور آنفًا: (ظاهراً أن قول الرضي (رحمه الله): العلاء بن زياد من الوهم منه رحمه الله أو من النساخ، فإن المعروف بين

علماء الأخبار أن الذي عاده أمير المؤمنين (عليه السلام) وشكى إليه أخاه عاصم هو الربيع بن زياد الحارثي... ثم ذكر كلام ابن أبي الحديد)[٢٣].

والدليل على ما رجحناه عدة أمور منها أن جميع شراح النهج ذكروا نص كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الوارد في مقدمة الكلام، والوارد فيه هو ذكر العلاء بن زياد الحارثي ابتداءً من القطب الراوندي المتوفى سنة (٥٧٣ هجرية) في شرحه (منهاج البراعة) وهو قريب من عصر الرضي (رحمه الله) حيث توفي الرضي سنة (٤٠٩ هجرية)، والراوندي يروي نهج البلاغة عن الشريف الرضي بواسطتين، وكذلك محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في شرحه على النهج المعنون بحدائق الحقائق الذي فرغ منه عام (٥٧٦ هجري)، وكذلك ابن ميثم البحراني في شرحه للنهج المتوفى سنة (٦٧٩ هجرية) وابن أبي الحديد المعتزلي المتوفي سنة (٦٥٦ هجرية)، وكذلك وجد هذا النص في النسخ الخطية من نهج البلاغة، ومنها النسخة الموجودة في مكتبة المرحوم آية الله العظمى المرعشي النجفي في مدينة قم المشرفة، وهي نسخة الحسين بن الحسن المؤدب، وتاريخ نسخها عام (٤٩٩ هجرية).

صورة الصفحة الموجودة فيها الخطبة من النسخة الخطية

فلو كان ذكر العلاء بن زياد من خطأ النساخ لكان على الأقل أن توجد ولو نسخة واحدة سالمة من وقوع السهو، ولو وجدت لأشار إليها شراح النهج المذكورون مع

قرب عصرهم بالشريف الرضي، أمَّا احتمال أنها من سهو الشريف الرضي (رحمه الله) فأيضاً بعيد؛ لأنه - إضافةً إلى ضبط الشريف الرضي وكونه من الأدباء والعلماء الكبار - لا توجد قرينة واحدة تدل على ذلك بل يمكن القول إن هناك قرينة تدل على وجود سهو من قلم الشريف الرضي.

وهذه القرينة هي وجود هذا النص نفسه (أي بذكر العلاء بن زياد الحارثي) في كتاب سابق على زمان الشريف الرضي ألا وهو كتاب المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي من علماء القرن الثالث الهجري حيث ذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام بالنص الآتي:

(عيادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبصرة العلاء بن زياد الحارثي وكلامه معه ومع أخيه عاصم بن زياد) وذكروا أنه لما قدم البصرة دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده فلمَّا رأى سعة داره قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا [و] أنت إليها في الآخرة أحوج؟ وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتؤدي فيها الحقوق، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة. قال [العلاء] يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال: وما له؟

قال: لبس العبا وتخلى عن الدنيا.

قال: عليَّ به. فأتي به، فقال [له]: يا عدو نفسه أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات، وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك.

قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في

خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك؟

قال: ويحك! إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره[٢٤].

إذ تلاحظ أن هناك تطابقًا كبيرًا بين النص الموجود في النهج ونص كتاب المعيار والموازنة، وإن وجد اختلاف طفيف بالعبارة فمن الراجح هنا أن الشريف الرضي نقل هذه الخطبة من كتاب المعيار والموازنة خصوصاً إذا علمنا أن طريقة الشريف الرضي هي ذكر ما وصل إليه من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ممَّا هو مبثوث في الكتب، وكتاب الإسكافي لا شك في أنَّه منها، ومن الوارد أيضا أن يكون كتاب المقامات الذي نقل عنه الشريف الرضي في النهج وهو لأبي جعفر الإسكافي هو نفسه كتاب المعيار والموازنة، وهذا يحتاج إلى العثور على نسخ خطية من كتاب المعيار والموازنة غير التي اعتمد عليها الشيخ المحمودي في نشره للكتاب وهي نسخة مكتبة السيد المرعشي، فلا مبرر إذن للقول إنه من سهو الشريف الرضي أو من سهو النساخ.

ولكون كتاب المعيار والموازنة نشر أول مرة عام ١٩٨٣ بتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي لذا لم يشر إليه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابه (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) عند ذكره لمصادر هذه الخطبة كما هو الحال في كتاب البصائر والذخائر للتوحيدي[٢٥].

وهناك صورة أخرى لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الموجود في النهج مذكورة في كتاب الكافي

الشريف للشيخ الكليني (رحمه الله) وهو: علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد وعدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد وغيرهما بأسانيد مختلفة في احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قد غمَّ أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

علي بعاصم بن زياد، فجيئ به، فلمَّا رآه عبس في وجهه، فقال له: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك أو ليس الله يقول: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾، أو ليس [الله] يقول: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ إلى قوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾، فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فقال: عاصم يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟

فقال: ويحك إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره، فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء[٢٦].

وقد عدَّ بعضهم هذه الصيغة من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) من المستدركات على نهج البلاغة كالميرجهاني في كتابه مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة (مستدرك نهج البلاغة[٢٧]) والشيخ المحمودي

في نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة[٢٨].

كما ورد أيضا في كتاب الاختصاص المنسوب للشيخ المفيد نقلًا عن كتاب فضائل أمير المؤمنين لعيسى بن دأب ما يقرب من ذلك؛ إذ جاء النص كالآتي: استعدى زياد بن شداد الحارثي صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أخيه عبيد الله بن شداد فقال:

يا أمير المؤمنين ذهب أخي في العبادة وامتنع أن يساكنني في داري ولبس أدنى ما يكون من اللباس، قال: يا أمير المؤمنين تزينت بزينتك، ولبست لباسك، قال: ليس لك ذلك إن إمام المسلمين إذا ولي أمورهم لبس لباس أدنى فقيرهم لئلا يتبيغ بالفقير فقره فيقتله فلأعلمن ما لبست إلّا من أحسن زي قومك ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فالعمل بالنعمة أحب إلي من الحديث بها[٢٩].

وعبيد الله بن شداد وزياد بن شداد الحارثيان أيضا ليس لهما ذكر في كتب الحديث والرجال الشيعية، وأيضا استدركهما الشيخ النمازي في مستدركات علم رجال الحديث اعتماداً على هذه الرواية.

وعبيد الله بن شداد يوجد له سمي هو عبيد الله بن شداد الكوفي من تلامذة علي بن الحكم ومن أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)[٣٠] ولكنهما خارجان من محل البحث لعدم المعاصرة مع أمير المؤمنين (عليه السلام). وفي كتب العامة يوجد عبيد بن شداد والد شداد بن عبيد الله بن شداد القارئ، وهو أيضا ليس معاصرًا ومن أهالي دمشق[٣١].

بالنتيجة نستطيع القول ممَّا تقدَّم إن الأصح في اسم الشخص الذي عاده أمير المؤمنين هو الربيع بن زياد الحارثي وأن الذي وبخه أمير المؤمنين هو أخوه عاصم بن زياد الحارثي، وإن هناك تصحيفًا وتحريفًا قد حدث في هذه الأسماء، وإن الشريف الرضي (رحمه الله) في ايراده للنص في نهج البلاغة قد اعتمد على الأرجح على كتاب الإسكافي في نقله للخطبة.

الهوامش:

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، صفحة ٤٣٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القران، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، جزء٩، صفحة١٤٩.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٤٠، ص ٣٣٦ وج ٦٧، وص ١١٨ و ج ٧٣، ص ١٥٥.

(٤) مستدرك الوسائل، المحدث النوري، ج ٣، ص ٣١٥.

(٥) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، السيد علي خان الشيرازي المدني، ج٤، ص ٣٦٨.

(٦) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري، ج ١، ص ٢٧٧.

(٧) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، ج ١، ص ٨٢.

(٨) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، ج ١، ص ٤٤٣.

(٩) مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، ج ٥، ص ٢٦٢.

(١٠) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٥، ص ١١٤.

(١١) الجرح والتعديل، أبو حاتم الرازي، ج ٦، ص ٣٥٥.

(١٢) تهذيب الكمال، المزي، ج ٢٢، ص ٤٩٨.

(١٣) السنن، ابن ماجة، ج ٢، ص ٢٦٦ والسنن، أبو داوود، ج ٢، ص ٧٨ والسنن، الترمذي، ج ٢، ص ٢٤٩.

(١٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، القطب الراوندي، ج ٢، ص ٣٢٢.

(١٥) الغارات، إبراهيم بن هلال الثقفي، ج ٢، ص ٥٥٨.

(١٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٤، ص ٩٤.

(١٧) قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال، الشيخ محمد تقي التستري، ج ٦، ص ٤٠٤.

(١٨) الثقات، ابن حبان، ص ٢٤٦.

(١٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد

المعتزلي، ج ١١، ص ٣٧.

(٢٠) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ج ٢، ص ٢١٣.

(٢١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص ٢٠٤.

(٢٢) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، ج ٩، ص ٦٥.

(٢٣) مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ج ٣ ص ٩٨.

(٢٤) المعيار والموازنة، أبو جعفر الاسكافي، ص ٢٤٣.

(٢٥) مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ج ٣، ص ١١٠- ١١١.

(٢٦) الكافي، الأصول، كتاب الحجة، ص ٤٢٠.

(٢٧) مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة، الميرجهاني، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٢٨) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ محمد باقر المحمودي، ج ١، ص ٣٤١.

(٢٩) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص ١٥٢.

(٣٠) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج ١٢، ص ٧٩.

(٣١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣٧، ص ٤٦٩.

المصادر

١- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.

٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٣- تلبيس إبليس، أبو الفرج ابن الجوزي، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، ١٩٩١.

٤- تهذيب الكمال، المزي، تحقيق بشار عواد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠١٧.

٥- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

٦- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، السيد علي خان الشيرازي المدني، تحقيق السيد محمد الحسيني الأميني، الطبعة الثامنة، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ١٤٣٥ هجري.

٧- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق محمد أيمن الشبراوي، نشر دار الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦.

٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٩٦٧.

٩- قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال، الشيخ محمد تقي التستري، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤٢٥ هجرية.

١٠- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق الدكتورة وداد القاضي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

١١- التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.

١٢- الثقات، ابن حبان، تحقيق محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٧٣.

١٣- الجرح والتعديل، أبو حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥٢.

١٤- الاختصاص، الشيخ المفيد، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ١٩٩٣.

١٥- السنن، أبو داوود، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨.

١٦- السنن، ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.

١٧- السنن، الترمذي، تحقيق صدقي جميل العطار، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.

١٨- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق عبد المجيد ترحيني ومفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٣.

١٩- الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الأضواء، بيروت، لبنان.

٢٠- الكافي، الأصول، الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار صعب ودار التعارف للمطبوعات، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ.

٢١- المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، غير مذكور مكان الطبع.

٢٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

٢٣- مستدرك الوسائل، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٨٨.

٢٤- مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، الطبعة الأولى، مطبعة حيدري، طهران، إيران، ١٤١٢ هـ.

٢٥- مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة، حسن الميرجهاني الطباطبائي، دار الأولياء، بيروت، لبنان، ١٣٨٨ هـ.

٢٦- مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد

الزهـراء الحسـيني الخطيـب، دار الزهـراء، بـيروت، لبنـان، ١٤٠٩ هـ.

٢٧- معجـم رجـال الحديـث، السـيد الخوئـي، الطبعـة الخامسـة، مطبعـة الآداب، النجـف، ١٩٩٢.

٢٨- نهـج البلاغـة، الشريـف الـرضي، دار الأسـوة للطباعـة والنـشر، إيـران.

٢٩- نهـج السـعادة في مسـتدرك نهـج البلاغـة، الشـيخ محمـد باقـر المحمـودي، مطبعـة النعـمان، النجـف، ١٩٦٥.

٣٠- ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، تحقيق علي أشرف الحسيني، الطبعة الأولى، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم، إيران، ١٤١٦ هجرية.